مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار التاسع
المجلد (٣) العدد (٤)
٢٠٢٢ (١٧٣-١٨١)

فرنسة التعليم بالمغرب .. عين على الواقع

توفيق أبوبكر

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٥ ديسمبر ٢٠٢٢

الملخص

كان المغرب لفترات طويلة حريصا على احتواء لغته و حمايتها من التغلغل الاستعماري، إلا أن في الآونة الأخيرة نهجت الدولة عبر وزارتها التعليمية اعتماد اللغة الفرنسية لتدريس العلوم، الأمر الذي خلق نقاشا حادا بين مؤيدي هذا القرار و معارضيه. في هذا المقال نسعى إلى تعزيز مكانة اللغة العربية ونفض الغبار عليها، كما من خلاله نحاول إشعار القارئ بأن من يدافع عن اللغة الفرنسية إنما يدافع عن مصالح ذاتية، وما يعيشه المتعلم اليوم من فشل على المستويين اللغوي و المعرفي لهو من صميم سياسة جهات معينة وليس وليد الصدفة. و لا يفوتنا كذلك في هذا المقال تعداد خصائص اللغة العربية وإبراز مميزاتها باعتبارها لغة حية تواكب تطورات العصر، وقد أفضى بنا هذا إلى اقتراح بعض التوصيات لتخطي الأزمة التي تعيشها، ومعتمدين في تحليلنا لهذا الموضوع على القانون الإطار رقم 51.17 والرؤية الاستراتيجية 2015- 2030، لنخلص في الأخير إلى أن قضية التعليم قضية لا تخص تيارا أو حزبا بعينه و إنما هي قضية مجتمع، قضية وجب على الجميع الانخراط فيها بكل مسؤولية.

الكلمات المفتاحية: الفرنسة ، التعليم.

*** مقدمة**

من المعلوم أن العلوم في الدولة الروسية تُدرّس بالروسية، و في إيران لا زال الحفاظ على اللغة الفارسية، فهي اللغة الأساسية وهي أيضا لغة التعليم، و في كوريا فإنها تدرّس بالكورية، وقس على ذلك في الدول الإسكندينافية فإنها تدرّس بلغاتها على الرغم من تمكّن جلّ سكانها من اللغة الإنجليزية. أما في المغرب البلد العربي فلازال يعتمد على الفرنسية في تدريس العلوم، مع العلم أن هذه اللغة ليست لغة للعصر بشهادة أهلها. ففي مطلع ثمانينات القرن الماضي تساءل الكاتب العام الدائم لأكاديمية العلوم الفرنسية آنذاك " Germain paul"؛ ألا زال بإمكان اللغة الفرنسية أن تكون لغة تعبير علمية ؟

Le français peut-il encore être une langue d'expression scientifique[1].

وخلص الباحث إلى الإجابة بأن ذلك غير ممكن، لأنه يعلم علم يقين بأن اللغة الإنجليزية هي لغة النشر العالمية، وبالتالي فهي دعوة صريحة للطلاب الفرنسيين بالاعتماد على اللغة الإنجليزية في تعلم العلوم بدل الانغلاق على لغتهم. و نتساءل نحن كذلك: أيعقل تدريس العلوم في مدارسنا وجامعاتنا باللغة الفرنسية في ظل الانفجار المعرفي الذي يشهده عالمنا المتجدد؟!

نعرض لكم في هذا المقال أهم التحديات التي يواجهها المتعلم في ظل اعتماد اللغة الفرنسية في تدريس العلوم، مبرزين الإقصاء و التهميش الذي طال اللغة العربية من لدن أصحابها، موضحين أن الفرنسية تحتل المرتبة الرسمية غير الدستورية للبلاد و لو ضمنيا، هكذا نخلص في الأخير إلى اقتراح بعض التوصيات الرامية إلى النهوض بالمدرسة العمومية خدمة للصالح العام.

*** إشكالية الدراسة**

تسعى هذه الدراسة إلى الحفاظ على مكتسبات المتعلم و صيانة حقوقه التي أصبحت تضيع بسبب فرنسة العلوم أبرزها الانقطاع المبكر عن التعلم، ومن أجل الارتقاء بالمدرسة العمومية التي يمثل فيها المتعلم قطب الرحى. يقودنا هذا الموضوع إلى محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية: ألا يمكن اعتبار فرنسة التعليم عائقا كبيرا للمتعلم يضع حدا لمساره الدراسي؟ أو ليست العربية في خطر في ظل تحكم السياسة الفرنكوفونية في برامجنا التعليمية؟ وماذا نجني من وراء هذه اللغة التي ظللنا متمسكين بها طيلة عقود؟ وهل باستطاعة تلميذ البكالوريا إتقان اللغات التي نصّ عليها القانون الإطار؟

*** أهداف الدراسة**

في مقالنا هذا نروم إلى تحقيق هدف أسمى و غاية كبرى و هي رد الاعتبار إلى اللغة العربية التي أصبحت لغة يعتريها التهميش و الإقصاء في مدارسنا التعليمية بل في المجتمع ككل، وواقع حالنا خير دليل على ذلك بعيدا عن سيمفونية وزارة التعليم التي تغطي الحقيقة بمساحيق التجميل و التلميع و التي يروح ضحيتها أبناء الطبقة الكادحة. وهذا الهدف المنشود فهو بمثابة رسالة واضحة كذلك لعلها تجد قارئا حكيما من القراء المسؤولين يقرأها بعين الغيرة على أبناء هذا الوطن.

*** أهمية الدراسة**

تعتبر قضية اللغة في المغرب قضية ذات أهمية كبرى، و ليست وليدة اللحظة، فقد تحدث عنها الكثير، إلا أن إثارة النقاش حولها من جديد لا ينقص من قيمة الموضوع شيئا و لا يفقده مكانته وحساسيته وهنا تكمن أهميته، خاصة أن التحصيل العلمي لدى طلاب المدارس أصبح في تناقص تام بفعل تدريس المواد العلمية بالفرنسية في السنوات الأخيرة، أضف إلى ذلك فإن الدراسات تشير إلى أن الانقطاع عن الدراسة في تزايد مهول وهذا راجع لعدة أسباب أبرزها استعصاء فهم التلاميذ لهذه المواد.

[1] Germain paul, la vie des science, comptes rendus de l'académie, série générale, tome 3, n 2, p : 137-156

*** مصطلحات الدراسة**

١- الفرنسة

هي سياسة نشر و توسيع اللغة الفرنسية ومعها الثقافة الفرنسية و توصيلها إلى العالم وجعلها مسيطرة ورائدة و سائدة على غيرها من اللغات وقد ظهر المصطلح مع بداية حملة الاستعمار الفرنسي للدول وخاصة الأفريقية. وتستعمل الفرنسية في المغرب بشكل واسع في الإدارة و التجارة و التعليم وتكاد تكون مهيمنة على العربية اللغة المدسترة.[2]

٢- التعليم

يُعرف التعليم بأنّه عملية منظمة تهدف إلى اكتساب الشخص المتعلم للأسس العامة البانية للمعرفة، ويتم ذلك بطريقة منظمة ومقصودة وبأهداف محددة ومعروفة، ويمكن القول إن التعليم هو عبارة عن نقل للمعلومات بشكل منسق للطالب، أو أنّه عبارة عن معلومات ومعارف وخبرات ومهارات يتم اكتسابها من قِبَل المُتلقّي بطرق معينة، فالتعليم مصطلح يُطلَق على العملية التي تجعل الفرد يتعلّم علماً محدداً أو صنعة معينة، كما أنّه تصميم يساعد الفرد المُتلقي على إحداث التغيير الذي يرغب فيه من خلال علمه، وهو العملية التي يسعى المعلم من خلالها إلى توجيه الطالب لتحقيق أهدافه التي يسعى إليها وينجز أعماله ومسؤولياته[3].

*** منهج الدراسة**

يقوم البحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، بغرض تحديد خصائص و سمات اللغة العربية ودحض اللغة الفرنسية و استنباط أثرها السلبي على المتعلم، معتمدين على هذا المنهج في تحليل بعض البنود التي جاءت بها الرؤية الاستراتيجية و القانون الإطار.

أولا: سيادة الفرنسية في التعليم: فشل منتظر

إن التلعثم في الكلام، والخلط بين العربية و الفرنسية في الحديث، وأحيانا بين العربية الفصيحة والعربية العامية، هي سمات تظهر بجلاء على الشاب المغربي خريج المدرسة العمومية، الذي وجد نفسه أمام هاجس اللغة، بين اللغة الأم التي يرى فيها أنها لغة لا تواكب العصر الحديث، و لا تفتح له آفاقا رحبة في سوق الشغل، بعدما تجرع أفكارا معادية للغة حضارته و هويته، و بين لغة المستعمر التي لازالت تحتكر على برامجنا التعليمية وإعلامنا و نجدها كذلك في اقتصادنا و في سياستنا و في ثقافتنا وفي واقعنا ككل. هذه اللغة خلقت جدالا واسعا في صفوف السياسيين المغاربة و المهتمين بالشأن التعليمي، ثلة منهم تعارض وجودها في برامجنا التعليمية، و ثلة أخرى تؤيدها بقوة و تدافع عنها كلغة لتدريس العلوم. هي آراء متباينة سببت خلافا فكريا و سياسيا عميقا بين مختلف الأحزاب السياسية والتيارات.

وإذا كان الشارع المغربي ينطق بلسان عاميّ، فإن المدرسة العمومية أدرجت الفرنسية لغة للتدريس، فأين نحن من العربية و دورها في بناء شخصية مغربية عربية مشبعة بقيم المواطنة ؟! لقدى أدى هذا التعدد اللغوي إلى انقسام المجتمع المغربي إلى ثلاث فئات: فئة بسيطة تنهل معجمها من الثقافة

[2] . تعريف مصطلح الفرنسة – موقع CNTRL (بالفرنسية) 2 يناير 2019 على موقع واي باك مشين.

[3] . education", https://www.dictionary.com, Retrieved 30-3-2022. Edited.

الشعبية المتداولة على ألسنة العامة، و التي يطغى عليها الطابع العاميّ – رغم أن الفصحى منبعها – وفئة أخرى تتواصل بالفرنسية في الشارع العام و الإدارات العمومية لإبهار السامع و التباهي عليه باعتبارها الفئة المثقفة أو نخبة المجتمع كما يزعمون، وهذا ما يحيلنا إلى سؤال مفاده: هل المتحدث بالفرنسية يعتبر إنسانا مثقفا ؟ و إذا كان كذلك، فهل المتحدث بالعربية الفصحى أقل شأنا و مكانة منه ؟ أو بصيغة أخرى؛ ألا يمكن اعتبار المتحدث باللسان العربي الفصيح إنسانا مثقفا شأنه شأن نظيره المتحدث باللسان الفرنسي؟ أما بخصوص الفئة الثالثة و الأخيرة، فهي ذات لسان " لا يكاد يبين، فلا هو يتحدث بالعربية و لا هو يتقن الفرنسية، بل مجرد خليط من هذا وذاك بفرز "لغة غريبة" تنفر الأسماع و تجرح الأذواق[4].

كل ذلك أدى إلى التشوه اللغوي الذي اتسم به اللسان المغربي مما يفرض التعجيل بأمر حسم الاختيار اللغوي الأنسب دون غموض و لا ضبابية.

ولا شك أن قضية الحسم في اختيار لغة التدريس خاصة في المواد العلمية بالمستويين الإعدادي والتأهيلي قطعت أشواطا كبيرة و خلقت نقاشا حادا، فقد نص القانون الإطار رقم 17. 51 المرتبط بإصلاح منظومة التربية و التكوين و البحث العلمي في المادة الثانية منه على " التنويع في لغات التدريس إلى جانب اللغتين الرسميتين للدولة "[5]، ويقصد بهاتين اللغتين؛ العربية و الأمازيغية، و" ذلك بتدريس بعض المواد، ولا سيما العلمية و التقنية منها، أو بعض المضامين أو المجزوءات في بعض المواد بلغة أو بلغات أخرى"[6]

وليس المراد بتدريس هذه المواد بلغات أجنبية أخرى، بل المراد هو تدريسها بلغة واحدة قلّ ما يقال عنها أنها لغة المستعمر الذي مارس بطشه على الدول المستعمَرة آنذاك، ولازال يمارسها فكريا و ثقافيا وقتئذ. إن الحرف الواقع بين مطلحي لغة / لغات في العبارة السابقة (بلغة أو بلغات أخرى) هو حرف عطف و العطف من التوابع، فهو يتبع متبوعه؛ أي على التتابع، " فلابد من واسطة بين التابع و المتبوع، وهي حرف العطف "[7] كما ورد في العبارة المذكورة آنفا، إذ وظف فيها حرف عطف (أو) الذي يدخل في باب عطف النسق، وله معنى ودلالة التخيير، كما أنه يُدرج في العطف المطلق: "يعني لفظا ومعنى"[8] وهذه الحروف منقسمة إلى قسمين: ستة منها تتبع المعطوف لفظا و معنى، كحرف العطف (أو)، وثلاثة منها تتبعه لفظا لا معنى.

وتفضي بنا عبارة " في بعض المواد بلغة أو بلغات أخرى"[9] إلى أن المتمدرس مخيّر بين اختيار لغة التدريس المحببة

[4] . مقال منشور بجريدة هس بريس الالكترونية لعبد المغيث جبران، – الرجل والمريول – 14 يوليوز 2022.
[5] . القانون الإطار، 17. 51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، المادة 2.
[6] . المرجع نفسه.
[7] . محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك (المجلد الثالث) مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الأولى سنة 1434 ص: 290
[8] . المرجع نفسه، ص: 292
[9] . القانون الإطار، 17. 51 (مرجع سابق)، المادة 2.

لديه؛ سواء أكانت اللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية أو غيرهما من اللغات الأخرى. لكن حرف العطف (أو) في هذه العبارة لا يعني التخيير بقدر ما يعني فرض لغة المستعمر في تدريس بعض المواد، على الرغم من أن موضع هذا الحرف في هذه العبارة جاء منافيا للقاعدة النحوية التي تقر بالتخيير.

أما في المادة 31 من القانون الإطار رقم 17. 51 التي ترتكز على الهندسة اللغوية المعتمدة في المناهج والبرامج فهي تسعى إلى تحقيق مبادئ جمّة أبرزها: "تمكين المتعلم من إتقان اللغتين الرسميتين و اللغات الأجنبية "[10] بالإضافة إلى " اعتماد اللغة العربية لغة أساسية للتدريس "[11] وجعل المتعلم الحاصل على البكالوريا " متقنا للغتين العربية و الأمازيغية، ومتمكنا من لغتين أجنبيتين على الأقل "[12]. إلا أنني أكاد أجزم أن هذا المتعلم الحاصل على البكالوريا غير قادر على إتقان لغته الأم (لغة الضاد) بمفردها، أو اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة رسمية للبلاد كما جاء في الدستور المغربي، فكيف له أن يتقن لغات أخرى؟! وهذه الهوة بين واقع التعليم وإخفاقاته و الإصلاحات المنشودة مردّه إلى عدة أسباب نذكر منها:-

١- اعتماد اللغة الفرنسية في السلك الإعدادي و التأهيلي و إقصاؤها في السلك الابتدائي.

٢- ضعف في المناهج و البرامج التعليمية وعدم تحيينها ومسايرتها لروح العصر.

٣- إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية و تمجيدها و تلميع صورتها أمام المتعلم والمجتمع ككل.

٤- عدم تكافؤ الفرص بين تلاميذ المدارس العمومية و تلاميذ المدارس الخصوصية.

هكذا وجد المتعلم نفسه تائها وحائرا، ساعيا و مهرولا نحو اللغة الفرنسية التي يعاني منها ضعفا كبيرا، نافرا و هاربا من لغته الأصلية. لذا نجد في خطابه مزيجا بين الفرنسية و العربية؛ فلا يميز بين مفردات هاتين اللغتين؛ كأن يقول stylo معتقدا أنها لفظة بالعربية، كما يتخلل هذا الخطاب – أو يطغى عليه – كلمات و تعابير بالعامية. ومن ثمة فهو لا ينطق الفصحى العربية كما يجب بعدما يُدرج كلمات بالعامية، ولا هو يتقن الفرنسية لاستعانته بالعربية.

ليس العيب في تعليم اللغات للنشء، و إن اعتقدنا ذلك فإننا قصيري التفكير، لأن الانفتاح على ثقافة الآخر و على اقتصاده و سياسته لا يتم إلا باللغة، و لكن العيب في تهميش لغتك و إعطاء المكانة الرفيعة للغات أخرى، فما تقدمت الأمم الغربية على هذا النهج، بل اعتمدت على لغتها الأصلية في المدارس و المعاهد و الجامعات، وطورت من أبحاثها العلمية دون إغفال اللغة التي هي جزء لا يتجزأ من ثقافتها، إن لم نقل هي الجزء الأعظم فيها.

وقد دافع العلامة عبد الله كنون و أمثاله ممن لهم غيرة على اللغة العربية فألف كتابا بعنوان: "التعاشيب" الذي كان المغزى منه المرافعة و الدفاع عن اللغة العربية، ونشر مقالا في مجلة الصباح خلال أربعينيات القرن الماضي، وفتح نقاشا يخص لغة التدريس و لغة الكتابة و مركزية اللغة الفرنسية في المجال اللغوي و الثقافي في المغرب ودور الوجود الاستعماري

[10] . القانون الإطار، 17. 51 (مرجع سابق)، المادة 31 – ص: 18
[11] . المرجع نفسه، ص: 18
[12] . المرجع نفسه، ص: 18

و اختلاف الرأي حول قدسية اللغة. ويرجع هذا النقاش بالذات إلى المقال الذي نشره المستشرق الفرنسي "كولان" في المجلة ذاتها "الصباح"، كل ذلك يدل على أن قضية الفرنسية و العربية قضية قديمة و حديثة.

إن أقل من ثمان سنوات تفصلنا على إسدال ستار الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015 – 2030، التي ترفع شعار : من أجل مدرسة الإنصاف و الجودة و الارتقاء، فماذا تحقق ؟

صحيح أنه ورد في الرافعة الثالثة عشر من هذه الرؤية إيلاء عناية كبرى للغات، خاصة اللغة العربية و تطويرها و تدريسها و التدريس بها بشكل يليق بمكانتها. ولا شك كذلك أن هذه اللغة هي "اللغة الرسمية للدولة، ولغة معتمدة في تدبير الشأن العام، ومقوم أساس من مقومات الهوية المغربية"[13] باعتبارها اللغة الأساس للتمدرس، إلى جانب اللغة الأمازيغية التي بدورها لغة رسمية للبلاد، كما أشاد العاهل المغربي بذلك من خلال الحوار الذي أجراه مع مجلة (باري ماتش) الفرنسية بقوله: "...لا أتحدث بالأمازيغية لأنها لم تكن ضمن المقرر الدراسي الذي تلقيته، ولكن بودي أن أتمكن من إيجاد الوقت الكافي لتعلمها "[14].

إننا نحن – المغاربة – غيورون على وطننا، محبين للغتنا، متشبثين بثقافتنا عالمينا بمستقبلنا، فمستقبل بلدنا رهين بمدرسته و ناشئته، معوّل على شبابه و أجياله الصاعدة في بناء صرح نهضته والدفع بعجلة التنمية نحو الأمام، ولن يتأتى ذلك إلا بالاعتماد على اللغة العربية في التدريس أولا، وتعلم لغات أجنبية معاصرة ثانيا، تخدم مصلحة المتعلم من أجل الانفتاح على ثقافات مختلفة، والتأثر بها والتأثير فيها في إطار معقول و محدود، يراعي الحفاظ على هويتنا و ثقافتنا و مغربيتنا وعروبتنا.

وعلى هذا الأساس، فإن مصلحة المتمدرس تكمن في إتقانه للغته و لغات أجنبية أخرى بالموازاة، وليس تدريسه المواد العلمية باللغة الفرنسية، بل الأجدر تدريسه هذه المواد باللغة العربية، وتلقينه وتعليمه لغات أجنبية كاللغة الإنجليزية و إتقانها، و جعله " عند نهاية التعليم الثانوي التأهيلي (البكالوريا) متمكنا من اللغة العربية، قادرا على التواصل باللغة الأمازيغية؛ متقنا للغتين أجنبيتين على الأقل "[15]. والنتيجة؛ فإن هذا المتعلم بعد حصوله على شهادة نهاية السلك الثانوي التأهيلي، يكون ضعيف اللسان عربيا و فرنسيا و إنجليزيا، فلا يتقن لغته و لا لغة غيره، وهذا الكلام يتنافى مع أبناء المدارس الخصوصية، التي تعتمد على تدريس لغات أجنبية كاللغة الإنجليزية انطلاقا من السلك الابتدائي، عكس أبناء المدرسة العمومية. إذن فلا وجود للإنصاف و لا للتكافؤ بين أبناء الوطن الواحد.

---

[13] . الرؤية الاستراتيجية، ص: 37

[14] مصطفى عنترة، المسألة الأمازيغية بالمغرب: قراءة في مسار التحول من الثقافي إلى السياسي، دار القرويين للطباعة والنشر الدار البيضاء،2007

[15] . المرجع نفسه، ص: 37

إن السياسيين الذين نرجو منهم الإصلاح جعلوا من لغة التدريس أداة للدفاع عن مصالحهم الشخصية أو الحزبية ضاربين مستقبل أبنائنا ووطننا عرض الحائط. " فلماذا لا يترك الانتهازيون الميدان التعليمي في أمان بعيدا عن مصالحهم؟!"[16]. إنه صراع لغوي محض بين لغة رسمية دستورية و هي اللغة العربية، و بين لغة رسمية غير دستورية؛ وهي اللغة الفرنسية، لكن هذا الصراع يتخذ في معظم الأحيان منحى آخر، فهو اقتصادي – سياسي أكثر مما هو لغوي – ثقافي، على الرغم من أن الدستور المغربي ينص على أن العربية هي اللغة الرسمية للبلاد إلى جانب الأمازيغية، إلا أن الفرنسية تهيمن على برامجنا التعليمية و منه إلى مختلف المستويات الثقافية والاقتصادية والسياسية.

فعلى المستوى الثقافي، فإن الفرنسية لها مدّ في المغرب أكثر من الفترة الاستعمارية، فهناك إرادة مغربية – مع كامل الأسف – لسيادة هذه اللغة، فعدد كبير من المغاربة يحرصون على تعليم أبنائهم اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية. إن المغاربة يسعون إلى ترسيخ الثقافة الفرنسية لدى أبنائهم أكثر مما تسعى إليه فرنسا نفسها، فالعائلات المغربية تجدها تستعمل الفرنسية في لغة حديثها اليومي أكثر من استعمالها للغتها الأصلية.

أما على المستوى الاقتصادي، فإن العائدات الفرنسية تحقق أرباحا كبيرة بسبب صادراتها الصناعية خاصة مع الدول التي عقدت معها فرنسا اتفاقيات و شراكات، و المقصود مستعمراتها السابقة و منها المغرب؛ التي اعتمدت اللغة الفرنسية لغة رسمية بعد الاستقلال، على اعتبار أن كل متكلم للفرنسية فهو مستهلك محتمل للمنتوجات الفرنسية.

أما على المستوى السياسي، فقد جعلت مختلف التيارات السياسية و الحزبية بالمغرب لغة التدريس أداة للدفاع عن مصالحها، بحيث يحاول كل حزب أن يسجل مكاسبه السياسية على حساب الحزب الآخر، "فأنصار العربية يعتبرون أنها وقعت ضحية لسطوة لغة المستعمر، التي تسيطر على مفاصل الحياة العامة إعلاميا و اقتصاديا وتعليميا و إداريا، بينما أنصار الفرنسية يضغطون بشتى الوسائل من أجل الرفع من شأن الفرنسية لدوافع ثقافية و سياسية و اقتصادية "[17] بدعوى إصلاح التعليم وتوفير فرص الشغل.

وزارة التعليم هي نفسها تقرّ بوجود خلل ما بعدما رصدت أن نسبة النجاح في بعض المؤسسات التعليمية متدنية جدا، خاصة في المستويات الإشهادية، وهذا راجع بالأساس إلى اعتماد الفرنسة في تدريس المواد العلمية بدل العربية، مما انعكس سلبا على مكتسبات المتعلم، الشيء الذي أدى به إلى الرسوب. إلا أن وزارتنا لا تعترف بذلك، فقد نهجت طريقا

[16] . المهدي المنجرة، زمن الذلّقراطية، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء – المغرب) الطبعة الأولى 2017 ص: 120

[17] . حسن الأشرف، الهوية اللغوية – صراعات داخل المجتمع المغربي، العربي الجديد، 17 يناير / كانون الثاني 2018. تاريخ الدخول 9 أبريل 2019.

آخر بإصدارها مذكرة أواخر هذا الموسم تحت عدد 061/22 بتاريخ 19 يوليوز 2022 تحث فيها المعنيين بالشأن التعليمي تسهيل عملية نجاح التلاميذ و " الحد بشكل جذري من الهدر المدرسي ومن التكرار"[18].

وهذا أمر محمود و مقبول إذا اعتبرنا أن هذا التلميذ قد اكتسب مهارات القراءة والكتابة والحساب، لكن التقارير الصادرة عن المجلس الأعلى للتربية و التكوين تتنافى وهذا الطرح، فقد أكدت رحمة بورقية مديرة الهيئة الوطنية للتقييم لدى المجلس الأعلى للتربية والتكوين و البحث العلمي في الثلاثين من نونبر لعام 2021 أن المكتسبات الأساس المتعلقة بالحساب و القراءة و الكتابة مازالت ضعيفة، موضحة أن ثلث التلاميذ يفتقرون للكفايات اللازمة، و مسارهم الدراسي مهدد بالانقطاع خاصة أن السلك الابتدائي يعرف ضعفا كبيرا في استيعاب تلامذته للغة الفرنسية، فقد كشف التقرير أن تلاميذ السنة السادسة من التعليم الابتدائي لا تتجاوز نسبة الذين استوعبوا المقرر الدراسي بأكمله 12 في المائة.

إن موضوع لغة التدريس و الجدال المحتد الذي خلقه طوال عقود في تاريخ المنظومة التعليمية بالمغرب منذ الاستقلال إلى اليوم ليس وليد اللحظة، فقد كثر القيل و القال حوله و تضاربت الآراء، و تعددت مصالح الساسة، و أنيطت مهمة الفتوى لمن لا علم له، وأبعد أهل المجال، وأصدرت تقارير بالجملة تتغنى الإصلاح من وراء حجاب فرنسة التعليم. لكن الحقيقة التي لا تخفى على أحد بتربع اللغة الفرنسية عرش اللغات في تدريس المواد العلمية هو خدمة للفرنكوفونية المتعطشة للمزيد من الهيمنة الثقافية والاقتصادية و السياسية، وليس خدمة للمتعلم و ميدان العلم؛ وفي هذا الصدد يقول المهدي المنجرة: "لابد من الاهتمام بالتعليم بعيدا من الأهداف و المصالح السياسية، وعلى الانتهازيين إعلان الهدنة في هذا المجال الذي تسطر مخططاته مستقبل الأجيال وبالتالي مصير الأمم"[19].

ثانيا: خصائص اللغة العربية

١- تتميز عن غيرها من اللغات الأخرى بثراء مفرداتها، فهي ليست لغة العرب فقط، بل لغة الإسلام و المسلمين في جميع أنحاء العالم؛

٢- إنها لغة القوم في الدنيا و أيضا يوم القيامة، فهي لغة سماوية؛

٣- استمرارها عبر العصور زادها قوة، فبعض الشعوب تركت لغتها الأصلية و تعلمت اللغة العربية و أتقنتها؛

٤- انتشارها في مختلف بقاع الأرض بسبب حاجة الشعوب إليها، وذلك لوجود كنوز من المعرفة الإسلامية احتوتها اللغة العربية من خلال المخطوطات التي كتبها علماء العرب؛

٥- دخولها في مجال الأدب المقارن فاطلع أدباء غربيون على نتاجات فكرنا.

ثالثا: نتائج الدراسة

للحد من التخبط اللغوي وضياع لغتنا نقترح ما يلي:-

[18]. عن وزارة التربية الوطنية و التعليم الأولي و الرياضة، مذكرة رقم 22- 061 بتاريخ 19 يوليوز، المقر المركزي للوزارة - باب الرواح -الرباط، ص:01.

[19]. المهدي المنجرة، (مرجع سابق)، ص.ص: 121-122

١- إعادة الاعتبار للغة العربية بعدما تم تبخيسها و الحط من مكانتها؛

٢- جعل لغة التدريس اختيارية و ليست إجبارية؛

٣- منح تدريس اللغة العربية بالسلك الابتدائي لذوي الاختصاص، بمعنى؛ إن مدرس هذه اللغة عليه أن يكون مختصا و مؤهلا معرفيا حتى يتسنى له نقل معارفها إلى النشء بالشكل المطلوب؛

٤- إدراج مادة الترجمة في البرنامج الدراسي و يشمل هذا الأسلاك الثلاثة (ابتدائي - إعدادي - تأهيلي)؛

٥- إيلاء الأهمية الكبرى للسلك الابتدائي باعتباره الأساس و القاعدة للمنظومة التعليمية؛

٦- تشجيع المتعلم على تعلم العربية بتسطير برامج تعليمية هادفة و غير معقدة؛

٧- ربط هذه اللغة بسوق الشغل و فتح آفاق للطالب تمكنه من الاندماج الفعلي في المجتمع ثقافيا واقتصاديا و اجتماعيا؛

٨- لابد من "تغيرات جدرية تطال هذا القطاع و إصلاحات عميقة تتمثل أولها في التعامل الرزين، و الأخذ بعين الاعتبار الرأي العام الحقيقي و الشرعي و تمثيل الشعب بمصداقية وديمقراطية"[20]؛

٩- استثمار الوسائل التكنولوجية في تدريس مادة اللغة العربية و التنويع من طرائق تدريسها.

*** خلاصة**

وبناء عليه، فإحصائيات و أرقام تبعث بالقلق، و أجيال راحت بسبب السياسة العشوائية التي ينهجها مسيرو الشأن التعليمي و التربوي بالمغرب، والزحف على اللغة العربية و إحلال محلها اللغة الفرنسية، سيخلف حتما تداعيات خطيرة إن على المستوى القريب أو المتوسط أو البعيد، وقد بدت بوادر هذا الفشل تظهر على شخصية الشاب المغربي، الذي تجرد من ثقافته و عروبته، ولبس لباسا فضفاضا حاكته له اليد الغربية على مقاسها، فبات لسانه يخلط و يمزج بين كلمات عامية وفرنسية، يصعب في كثير من الأحيان فهم خطابه.

إننا اليوم مدعوون إلى إعادة الأمور إلى نصابها، ووضع العربية في سكتها الصحيحة، وتشجيع الناشئة على تعلمها و إتقانها لا النفور منها وإهمالها. ولا ضير في تعلم لغات أخرى و الانفتاح على ثقافات متنوعة تكسب المتعلم معارف جديدة و تفتح له أفق التفكير و تطوير الذات والمساهمة في تأسيس مجتمع معاصر و بنّاء، لكن هذا ليس على حساب اللغة الأصلية للبلد. ففي هذا الصدد يقول حافظ إبراهيم في قصيدة له تحت عنوان: "اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها":-

أيهجرني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

وهذا محمد حسن ظاهر الهلالي يبكي حال اللغة العربية في قصيدة بعنوان: "لغة القرآن الكريم"، ويحاورها قائلا:-

فقلت لها من أنت ؟ قالت أنا التي حفظت لكم قدرا و ضيعتموا قدري
فقلت لها بالله ربك أفصحي فقالت أنا أم المشاعر و الشعر
أنا لغة الأعراب من كل أمة أنا لغة الآداب من سابق الدهر
أنا لغة قد شرف الله قدرها بها أنزل القرآن في ليلة القدر
فقلت لها أهلا و سهلا و مرحبا عليك سلام الله يا لغة الذكر
ولكن لماذا تظهرين حزينة ؟ فقالت لما قد حل بالشعر و النثر
بأسباب قوم لست أرغب ذكرهم و إن ذكروا عندي يضيق صدري

[20]. المرجع نفسه، ص: 122

* **المراجع**

أولاً– المراجع العربية

تعريف مصطلح الفرنسة – موقع CNTRL (بالفرنسية) 2 يناير 2019 على موقع واي باك مشين.

مقال منشور بجريدة هس بريس الالكترونية لعبد المغيث جبران، – الرجل والمريول – 14 يوليوز 2022.

القانون الإطار، 17. 51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، المادة 2.

محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك (المجلد الثالث) مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الأولى سنة 1434 ص: 290

الرؤية الاستراتيجية، ص: 37

مصطفى عنترة، المسألة الأمازيغية بالمغرب: قراءة في مسار التحول من الثقافي إلى السياسي، دار القرويين للطباعة والنشر الدار البيضاء،2007

المهدي المنجرة، زمن الذلّقراطية، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء – المغرب) الطبعة الأولى 2017 ص: 120

حسن الأشرف، الهوية اللغوية – صراعات داخل المجتمع المغربي، العربي الجديد، 17 يناير / كانون الثاني 2018. تاريخ الدخول 9 أبريل 2019.

ثانياً– المراجع الأجنبية

تعريف مصطلح الفرنسة – موقع CNTRL (بالفرنسية) 2 يناير 2019 على موقع واي باك مشين.

مقال منشور بجريدة هس بريس الالكترونية لعبد المغيث جبران، – الرجل والمريول – 14 يوليوز 2022.

القانون الإطار، 17. 51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، المادة 2.

محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك (المجلد الثالث) مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الأولى سنة 1434 ص: 290

الرؤية الاستراتيجية، ص: 37

مصطفى عنترة، المسألة الأمازيغية بالمغرب: قراءة في مسار التحول من الثقافي إلى السياسي، دار القرويين للطباعة والنشر الدار البيضاء،2007

المهدي المنجرة، زمن الذلّقراطية، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء – المغرب) الطبعة الأولى 2017 ص: 120

حسن الأشرف، الهوية اللغوية – صراعات داخل المجتمع المغربي، العربي الجديد، 17 يناير / كانون الثاني 2018. تاريخ الدخول 9 أبريل 2019.

Germain paul, la vie des science, comptes rendus de l'académie, série générale, tome 3, n 2, p : 137-156

education",
https://www.dictionary.com, Retrieved 30-3-2022. Edited.